مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 03، سبتمبر 2022، صص: 191 - 204
تاريخ الاستلام(2021/06/30) تاريخ القبول (2022/09/10) تاريخ النشر (2022/09/30)

سيكولوجية الحب الرومانسي في الرو اية الجز ائرية المعاصرة
دراسة تحليلية نفسية لرو ايتي
(نخب الأولى) لليلى عامر و(قلم مريض نفسي) لأسامة قرينة

The Psychology of Romantic Love in the Contemporary Algerian Novel: Psychoanalytic study of Layla Amer's and Osama Grina's novels

حدور ربيحة[1]، رويدي عدلان[2]
[1] جامعة جيجل(الجزائر)، haddour.rabiha@univ-jijel.dz
[2] جامعة جيجل(الجزائر)، rouidi.adlene@univ-jijel.dz

ملخص:
حظيّ الحبّ بكثير من الاهتمام الأدبي نثرا وشعرا، وغدا وروده في الأعمال الإبداعية أمرا طبيعيا، غير أنّ هذه الدراسة لن تتناول الحبّ بمفهومه العام العاطفي الثيماتي بل ستعالج ورود الحب الرومانسي كمعطىً سيكولوجي نفسي عبر مقاربة سيكولوجية في روايتين هما (نخب الأولى) و(قلم مريض نفسي) اللتين تمتازان بخصائص مشتركة متعلقة بالاضطراب النفسي للشخوص الذي كشفه الحب كفعل اصطدام بالآخر/الأنثى لدى شخصيتي (عمر) و(أسامة). اهتمت هذه الدراسة أيضا بالحفر عن تأثير الأنساق المضمرة الاجتماعية على الحب والترسب الاجتماعي للقيم الذكورية التي ساهمت في ترسيخ العُقد والمكبوتات النفسية في اللاوعي والتي ستبحث في مدى قدرة الرواية الجزائرية. استثمار المفاهيم السويولوجية والنفسية لعرض الحبّ كحالة سيكولوجية تعري الذات أمام الآخر.

كلمات مفتاحية: الذكورة، الوحدة التكافلية، عقدة شهريار، اللاوعي، الوعي، الحبّ.

Summary
Love has received a lot of literary attention in prose and poetry, and its inclusion in creative works has become a natural matter. However, this study will not deal with love in its general emotional thematic sense, but rather will treat the emergence of romantic love as a psychological

المؤلف المرسل: حدور ربيحة، الإيميل: ribikamika@gmail.com

psychological given through a psychological approach in two novels, namely (Nakhb Al-Oula) and (The Pen of a Psychopath), which have common characteristics related to the psychological disorder of the people revealed by love as an act of collision with the other / female in the characters (Omar) and (Osama). This study was also interested in digging about the impact of social implicit patterns on love and the social sedimentation of masculine values that contributed to the consolidation of psychological complexes and repressions in the subconscious, which will examine the extent of the ability of the Algerian novel, investing in psychological and psychological concepts to present love as a psychological state that exposes the self in front of the other.
Keywords: masculinity, symbiotic unity, Shahryar complex, unconsciousness, awareness, love.

1.مقدمة :

تتأسس روايتا "نخب الأولى" و"قلم مريض نفسي" على خطاب البوح، وتتخذان شكل المذكرات، وكلتاهما تقومان على بنية سردية مفككة تعود بالدرجة الأولى إلى ما تتيحه الذاكرة من استدعاء غير مرتب للذكريات. يحضُر موضوع الحبّ فيهما ليشكل نقطة أساسية تساعدنا في الكشف عن الترسبات اللاوعية والعقد النفسية للشخوص وهي تصطدم بالآخر (الأنثى) من خلال تتبع سيكولوجيته لدى الشخصيتين (عمر) في نخب الأولى و(أسامة) في قلم مريض نفسي.

لا تحاول دراستنا هذه عرض موضوع "الحبّ" بقدر ما تسعى إلى الكشف عن الترسبات اللاوعية والعقد النفسية للشخوص وهي تصطدم بالآخر (الأنثى) من خلال تتبع سيكولوجيته لدى الشخصيتين البطلتين في الروايتين في محاولة للإجابة على الأسئلة التالية: وكيف كشف الحبّ عن المضمرات النسقية الاجتماعية والمكبوتات النفسية؟ هل تجاوزت الرواية الجزائرية المعاصرة الطرح البسيط لموضوع الحبّ؟

تعتمد الدراسة على الدرس السيكولوجي النفسي وتستثمر بعض المفاهيم السوسيولوجية التي تخدم توجه البحث محاولين فيها التمهيد لدراسات تتعمق في ارتباط الأنا بالآخر ضمن أعقد المشاعر الإنسانية (الحبّ) وكيفية تجسيد الشخوص الروائية ذلك.

2. عقدة شهريار وتشيئ الجسد الأنثوي:

تمثل شخصيتا (عمر) و(أسامة) نموذجا عن المحبّ الأناني والفقير والمستجدي للحب، كلاهما يسعيان نحو ذات أنثوية لتحقيق الرغبة الذاتية الداخلية في الانتصار لا تحقيق التكامل الحياتي مع الطرف الأنثوي. تشكل حالة البحث عن الحب لديهما نوعا من الرغبة في الانتساب إلى

الوجود وسدّ الافتقار النفسي باعتبار أنّ «**جذور الحب تكمن في الحاجة إلى الانتماء**»[1] إلى عالم يحظى فيه الطرفان بالاعتراف والاهتمام من الآخر، لكنَّ هذه الرغبة السوية لا تتوفر في ذات (عمر) و(أسامة) لأنّهما يهربان من الحب فور توفره.

إنّ عاطفة الحب ليست معزولة بأيّ شكل من الأشكال عن التأثيرات الاجتماعية اللاواعية. نلاحظ منذ بدء الحكي في الروايتين أنّ الشخصيتين البطلتين تحملان نظرة مجندرة اجتماعيا تجاه المرأة يسِمُها التشيء والمادية، يقول عمر عن مريم: «**نفسها بحثت أربعين عاما عنرجل كان خطيئتها وحقيقتها أيضا**»[2] وهي العبارة التي تكرس لدونية المرأة وتحمّلها خطيئة حواءفي اغواء آدم وجعله يعصي الله في أكله لثمار الشجرة المحرّمة، ولما تكون دونية المرأة الميثولوجية شيئا مترسبا في اللاوعي الجمعي تصبح النظرة إليها ككيان وروح غير ممكنة لدى شخصية (عمر)، و نفس النظرة التشيئية التي لا تتعدى حدود اعتبار المرأة ملكية ترد على لسان شخصية أسامة حين يقول:« **إلى أن جاء ذلك اليوم الذي بدد كل شيء واستسلمت لحظي أجل ملكتها أخيرا**».[3] يصبح إدراج كلمة ملكتها من الفعل (ملك يملك) ملفوظا غير واع، تصبح فيه المرأة ملكية تحقق لأسامة نشوة الامتلاك لا نشوة الحب، إنّه سعيد بالتفرد بالمرأة التي رفضته لفترات طوال لحجج تتعلق بمبادئها الدينية المحافظة. لكنّ الساردان لا يرضيان بإكمال فرحتهما، وعليه يلاحظ أنّ « **الحاجة العصابية تفشل في إرضائنا حتى عندما نقوم بإرضائها**»[4]. لأنّ النفس تفقد العنصر الانفعالي (الرفض الدائم) الذي قد كان يحفزها للوصول إلى الهدف المرسوم مسبقا.

كان يقين أسامة تاما أنّ ارتباطه بأنثى يعني الحصول على شيء خاص بهويؤكد ذلك قوله: «**سيريد الجميع التقرب منها لكنَّها كانت مملكتي**»"[5]. الفكرة ذاتها ترد في قول شخصية (عمر):«**تقربت منها كانت فرسا جامحا لا تلين ولا تتجاوب معي حاولت وحاولت، لم يكن هدفي سوءا، كنت أود أن أبقى أطول مدة إلى جانبها فقط**».[6] يزداد السعي إلى الحب والتعلق بالمحبوبة كلّما همّت:"مريم" برفض "عمر" والحبيبة الأولى (لم يذكر لها السارد اسما) برفض أسامة. تشكل العبارة التبريرية لدى عمر (لم يكن هدفي سوء كنت أود أن أبقى أطول مدة إلى جانبها فقط) ملفوظا يؤكد أكثر شعوره بالفراغ وإدراكه النفسي بأنّ ما يفعله خاطئ يجعل أغلبية كلامه في العمل الروائي عن مريم كلاما مرفوقا بمبررات رغم أنّ طبيعة الكتابة الاستذكارية القائمة على البوح تتيح للشخصية حرية أكبر في عرض أفكاره وطرح تصوراته حول مريم.

وبحكم أنَّ«**"كثيرا من التصورات التراكمية في النفس ترجع إلى أمور، أفكارغيرواعية**"[7] تصبح مثل هذه الأفكار اللاوعية في سياق السرد الاستذكاري ملفوظات تضمر الكبت الذي تعانيه

الشخصيتان وعدم تحررهما الذاتي من الأفكار الاجتماعية التنميطية تجاه صورة الأنثى والتي تعود أساسا إلى الكاتبين.

يتّصف عمر وأسامة بالأنانية وبتضخم نرجسي للأنا الذكورية. إنّهما رغم حاجتهما إلى الأنثى لا يستطيعان التنازل والاستسلام للحبّ. يحيل هذا النفور سياقيا إلى عقدة شهريار (في رغبته التملك دون الرضوخ للأنثى بل والتلذذ في معاقبة كل أنثى رغم ارتكاب الخيانة من طرف امرأة واحدة. الأمر شبيه بمعاقبة عمر لمريم وأسامة لحبيبته الأولى بالابتعاد عنهما دون مبرر).

إنّ النرجسية الأنانية لا تتوافق مع حبّ الذات، بل إنّ الأنانية وحبّ الذات ضدّان بالفعل، فالشخص الأناني لا يحب نفسه كثيرا بل يحبها بشكل قليل جدا، إنّه في الحقيقة يمقت نفسه،وهو في الحبّ يفتقد الاعجاب والرعايةممًّا يسبب له القلق الذي يجعله يسعى إلى أن يستلب من الحياة الاشباعات التي يسدُّ ويمنع على نفسه الطريق لاجتيازها[8]بطريقة غير مباشرة أو حتى دون إدراك الشخصية بذلك. بل ويصل بأنانيَّته المفرطة إلى أذية نفسه وغيره.

النرجسة الذكورية تتمظهر في أفكار شخصية أسامة أكثر ممّا تظهر عند عمر الذي يحتقر ذاته، ومن ذلك تصرفه الرافض لتكوين حبيبته علاقات زمالة مع الذكور حين يقول: «**تدعو أولئك الحمقى إخوانها،أمّا أنا فاتخذتهم أعداء تجاوزوا حدود مملكتي**» [9]والذي يتعارض مع موقفه من علاقاته هو الخاصة بصديقات إناث « **إحدى زميلاتي في السابق اسمها سمية فتاة طيبة أعتبرها كأخت لي**» [10]هذان القولان يعبران عن نسق اجتماعي مضمر يتمثل في أن المجتمع الجزائري يعيش انكسارا قيميا وانهيارا في ترسيخ القيم الدينية لدى فئة الشباب المراهقين وتقويم سلوكه، وفي نفس الوقت لا يزال يعيش تعارضا صارخا بين ذكورته الاجتماعية وقيم دينه المحافظة، فيسمح بمقتضى الدين والمجتمع للذكر بما لا يسمح به للأنثى، فالرجل وإن أحب الكثير من النساء وتعددت علاقاته النسائية لا يعاب لأنَّه رجل، بينما تلام المرأة لنفس السبب في حين أنّ الدين الإسلامي يحرم هذا النوع من العلاقات على الجنسين. ومن هنا يقرر "أسامة" ممارسة الحرية الاجتماعية المتاحة له فيخاصم حبيبته في محادثتها لذكور غيره بينما يسمح لنفسه بذلك.

يعبر هذان الموقفان عن خوف نفسي ذاتي من الاستبدال الممكن الذي يمكن أن تقوم به المرأة، يعني هذا أنّ إحساسه الدائم بالدونية أمام الذكور الآخرين وعدم استطاعته الوثوق بحبها يجعله يمارس هذه السلطة الذكورية غير المشروعة. وهي التي تندرج ضمن الامتيازات الاجتماعية، تلك التي «يحددها المجتمع والثقافة لكل من النساء والرجال على أساس قيم وضوابط وتصورات المجتمع لكلّ من الرجل والمرأة».[11]

إنّ العقدة الشهريارية لا ترتبط وحسب بالأنانية والخوف من الأنثى رغم البحث عنها بل بالنزعة الذكورية والنظرة الأيدولوجية الاجتماعية التي تنتقص من قيمة المرأة. يقول الراوي أسامة واصفا كرة القدم مقرنا صورتها بصورة المرأة: "« **المعشوقة الوحيدة التي لا يشاركها العاشق غيره، كيف لا وهي لا تكون في كامل أناقتها ما لم يداعبها الكثيرون؟(...) تلك الجميلة التي يريدها الجميع بين قدميه ليتفنن في مداعبتها**»[12] يحمل هذا المقطع انزياحا وابدالا متعمدّين يتعمد تورية الباطن واجلاء الظاهر، فالصورة العامة للخطاب تظهر وصفا للكرة مقرونا بجمال المرأة – وان كانت علاقة المشابهة في الجمال منعدمة منطقيا بين الكرة والمرأة- أما الصورة الخفية لهذا الخطاب فتكمن في طبيعة الرؤية التي يحملها السارد في« المحتويات المكبوتة والمواد النفسية التي لم تبلغ القيمة والشدّة التان تسمحان لها بعبور عتبة الوعي" المشكلة للاوعي »[13] تجاه المرأة والتي تتمحور حول اعتبارها ملكية خاصة لا تتاح لغير المالك ولا يجوز تشاركها (المعشوقة الوحيدة التي لا يشاركها العاشق غيره) وهنا تصبح الأنثى كأيّ شيء يوفر متعة من خلال اللعب به وتكسب قيمتها في ظل وجود الرجل وتحديدا في اهتمام الرجال الكثيرين بها، أيّ أنّه لا قيمة للمرأة/ الكرة دون وجود الأرجل التي تداعبها، وهكذا تظهر لنا نظرة استعلائية فالرجل وأيّ شيء يقذف بها لا يعتبر قيّما بل دونيا (وهذه الفكرة ترد حتى في الأقوال العربية الجزائرية الشعبية الدارجة المتداولة "حطها تحت رجليه")، وفقا لهذا يمكن القول أنّ مرتبة المرأة تتحدد بمقدار المتعة التي توفرها (تلك الجميلة التي يريدها الجميع بين قدميه ليتفنن في مداعبتها) وهذه الفكرة ترتبط لا شعوريا بعدم قدرة السارد تجاوز الجسد الأنثوي ونظرته له التي تحصره ضمن نطاق توفير اللذة خصوصا وأنّ هذه الجملة ذات إيحاء جنسي فلفظتي (بين قدميه/ المداعبة) تحمل دلالة جنسية عن المرأة تكشف التفكير اللاواعي للسارد.

إنّ أسامة لا يشعر بالحبّ بقدر ما تقوده رغبة غير مبررة في امتلاك أنثى وتحقيق فحولته أمام الآخرين ويظهر هذا الشعور قول السارد: "« **كنت أعلم يقينا أنَّها علاقات لا طائل منها يا قلبي، لكنني رغبت بها، طبيعتنا!**»[14] رغم ما تخلفه هذه الرغبة لديه من صراع نفسي حادٍ بين الهو (الرغبة في الجسد الأنثوي وامتلاك أنثى) والأنا الأعلى (قيم المجتمع المحافظة) ليضعنا السارد أمام ثنائية (الحب/ القيم) وكيفية تأثير المجتمع في المسار الطبيعي للحب، وهي (نقصد الثنائية) التي تبرز من سياق المعاناة النفسية التي يتخبط فيها أسامة لعدم استطاعته الموازنة نفسيا بين شهواته ونزوعه الديني ووازعه الأخلاقي.

لا يكشف هذا الموقف الذكوري التناقض بين القيم والرغبات وحسب، بل يظهر أيضا وجود المنافسة الذاتية بين الذكور للضفر بامرأة ليصبح عدم الحصول عليها نقيصة من الذكورة أمام الذكور الآخرين، يؤكد هذا الرأي قول الراوي: «**بدأت أفقد صبري و أنا أبحث عن مريضة نفسية مثلي فالحب لا يجمع إلاّ من تشابهت طبيعتهم** » [15] والحقيقة أنَّ مثل هذا القول يبيّن وجود علاقة جدلية قائمة في تحديد علاقة الذكر والأنثى ويطرح سؤالا مفاده: من يحتاج من؟ هل الأنثى من تحتاج الذكر أم العكس؟ وهكذا يستحيل الحب نوعا من الرضوخ غير المرغوب فيه للكائن الأضعف والأدنى مرتبة اجتماعيا (الانثى) مما يشكل حالة نفور من الحب تلي حالة تلقيه.

يبدو وفقا لما سبق أنّ التعامل مع الحب لا يكون بوصفه الرابط والعلاقة بين الذكر والانثى بقدر ما هو تعامل مع ثقافة التملك وهو ما توضحه مجموعة من الخطابات اللغوية وتوظيف مفردات كثيرة كقوله:«**قلت أشياء كثيرة يا قلبي وأصررت عليها كثيرا كي أبقيها بجانبي لعلَّها تقعأسيرة حبي** »[16]« **أردت أن أقاتل كي أفوز بها»** [17]التي تحيل علىالرغبة المتأججة في التباهي بامتلاك أنثى وتحقيق الوجود النفسي الذكوري.

ما يؤكد لنا التحليل السابق هو ما أقدم عليه كخطوة ثانية بعد ترك الحبيبة الأولى وهو الدخول في علاقة ثانية تالية لواقعة الفراق لجعل تلك الحبيبة المتروكة تكرهه فيضع حسب تصوره بذلك حدا لمعاناتها، فمجموعة الأفعال التي قام بها المؤذية لها تبرز أكثر نظرته التشيئية للمرأة ومعاملته لها على أساس كونها ملكية إضافة الى ما تظهره هذه التصرفات من نرجسية ذكورية وقسوة شهريارية تستمتع بإشباع الرغبة الفردية لا الثنائية، ويتأكد طرحنا أكثر بتناقضه الذكوري بين قبوله لنفسه التلاعب بمشاعر أنثى وعدم قبوله في الآن نفسه أن يتم التلاعب به، فيصف الفتاة التي خانته مباشرة بعد دخوله في علاقة معها بقوله: "« **وفي المقابل أي وقاحة تلكامتلكتهالتفعل بي هذا؟وأيُّ صفعة تلك تلقيتها منها؟** » [18] وهي صدمة مست فحولته وأساءت إلى رجولته، رغم أن علاقته بها« **محض مصلحة**» ، وهذا الزعم بالفحولة هو الذي يخول لنفسه أن يرى موقفه الأول من الشهامة والصدق فقد تركها ولم يستمر في خداعه لها (بعد سنتين) بينما الموقف الثاني يعتبر وقاحة وسوء أدب.

نتج عن الترسب القيمي اللاواعي لنموذج الذكورة المثالي الذي يستلزم الحصول على الإعجاب الأنثوي وإثبات الذات انهيار للعلاقة التي عاشها أسامة ولا يعود ذلك سوى إلى غياب عنصر الانفعال النفسي. إنَّ الوصول إلى الغاية كفيل بإشعار المرء باللذة والانتصار فيسعى بعد ذلك إلى هدف آخر مسببا ذلك فشل الحب. و"ليس السبب في فشل الحب هو نقص الكائن المحبوب أو ضعفه أو عدم جدارته بل هو إدراكنا الضمني لاستحالة تحقيق المثل الأعلى الذي

يهدف إليه الحب وكلما زاد حب الآخر لي زاد فقداني لوجودي وبالتالي زاد ارتدادي الى مسؤولياتي الخاصة. إنّ استيقاظ الآخر ممكن في أيّ لحظة ولهذا فإنَّ المحب يحيا دائما في حالة عدم اطمئنان. الحب يجب ان يكون مطلقا لكن تدخل الآخرين يجعل المحب يشعر بالخجل أو الزهو أمام الآخرين"[19]. هذا ما ينطبق على حالتي (أسامة) و(عمر) فقدفقدا معا إمكانية الاستمرار في الحب لأنّهما لم يحققا ذاتيا الوصول إلى النموذج المثالي للحب المتصوّر في حد ذاته رغم أنّ الحبيبتين مريم والفتاة التي ارتبط بها أسامة (لم يذكر لها اسما) لا تتصفان بعيوب أو صفات تنفرهما منهما وهذا ما يتناسب مع التحديد المسبق المستنتَج لطبيعة العلاقة التي جمعتهما بحبيبتيهما، إنَّها علاقة اشباع وامتاع كشفتها كتابة واعية وفي هذا نجد«**خطاب اللاوعي يتكلم من خلال الوعي** ».[20]

إنّ ما كان يعاني منه "أسامة" بسيكولوجيًّا هو الخوف من الترك، يدرك في وعيه أنّ الحب لديه مجرد كذبه لأنّ ما كان ينهه فعليا ويدفعه إلى الأنثى هو رفضها السابق له. يفصح عن ذلك يذكر:«**عندما يصعب عليك الحصول على شيء ما يا قلمي فإنّ شغفك به ينمو مع كل محاولة ستتعلق به كثيرا ستقع في كذبة عشقه وتصدق فكرة عدم استطاعتك العيش من دونه** »[21]وهكذا فإنّ ثنائيتي الوعي واللاوعي تتناوبان في الظهور وتكشفان عن اضطرابات الشخصية.الأمر نفسه حدث لـ"عمر" فيما يتعلق بعنصر الانفعال النفسي، ما كان يغذي شغفه بمريم هو صعوبة الوصول إليها ورفضها له والذي بدأت حدَّته تذوي بمجرد قبول مريم له ليتخذ مسارا آخر معاكسا (الخيانة). يمكن التأكيد على أنّه إذا تلاشى الانفعال والتنبيه يتحول الحب الرومانسي شيئا فشيئا الى نمط حب آخر أو إلى جفاء[22]وهو ما حصل في نهاية المطاف بتحول الحب إلى شفقة وعطف لدى مريم وانتفاءه لدى عمر بفقدانه الذاكرة.

إذن ما كان يشعر به السارد هو الفراغ والملل ورغبة في محاكاة غيره دفعت به إلى الرغبة في الارتباط الذي يعتبر في علم النفس بديلا نفسيّا لسدِّ شعور بالدونية واحتقار الذات وتحقيق التعويض النفسي[23]. ويعلل السارد لإنقاذ صورته بالطبيعة المائلة بالفطرة إلى الجنس المغاير، غير أنّ الجلي هو أن الهدف هو الارتباط بحد ذاته كقيمة وليس الطرف الآخر كشخص، وعبارة من مثل:« **أكاد أخمد نارغبتي في الارتباط**» تؤكد ذلك، هذه الرغبة في الارتباط حملت بعدا تأثيريا من المجتمع في إشباع الشعور الذكوري بالذات، لذلك سيلاحظ القارئ أن قصته تبدأ باختيار الفتاة الهدف[24] وتنتهي بالتخلي عنها بعد إشباع رغبة الامتلاك ومعللا ذلك بعدم تمكنه من محبتها[25].

2. الحب ورحلة البحث عن الاعتراف الأنثوي:

تطرح الرواية نسقا حاول السارد اضماره، وهو الضعف الذكوري وحاجة الذكر هو الآخر إلى الاعتراف الأنثوي به، يتجلى ذلك في استذكار السارد (مدونا ومحدثا قلمه) لموقف صراع فتاتين لأجله ومحاولتهما الضفر بحبّه عن محاولة كلّ منهما الضفر به ومقابلته هو كما كتب لذلك الحدث بالإهمال وعدم الاهتمام رغم رغبته الشديدة في الارتباط، إنَّ هذا الزعم بعدم الاهتمام ما هو سوى اهتمام في حد ذاته فالذاكرة لا تحتفظ إلاَّ بالحدث الذي يؤثر على نفسية الفرد إيجابا أو سلبا فتظهر في النص على شكل خطابات بغير وعي، ذلك أنّ« **كثير من التصورات التراكمية في النفس ترجع إلى أمور، أفكار غير واعية** »[26] احتفظت بها الذاكرة، لكن السؤال لماذا يأت على ذكر موقف كهذا إذا كان يزعم عدم الاهتمام به؟ إنَّ السارد (أسامة) يعاني من عدم الثقة في نفسه ووسامته وهو ما يجعله يستدعي لاشعوريا هذا الحدث الذي عزز في نفسه شعوره بكونه مهمّا وحقق له حاجته البسيكولوجية إلى الاعتراف به من طرف الأنثى. يتجلى احتقار الشخصية لذاته في قوله« **أذكر أنَّ زميلة لي قد حدثتني يوما أنّها مهتمة بي، كيف لرجل مثلي أن يكون محطّا للأنظار** »[27] وهكذا يمكن ملاحظة صعوبة تصديق أسامة اعترافَ الأنثى بوجوده واهتمامها به كرجل. وهي فكرة معكوسة لما يتداول في علم الاجتماع والنفس عن كون الأنثى هي التي تحتاج الرجل وتظهر حاجة الذكر هو الآخر الاندماج مع الأنثى.

يتخذ البحث عن الاعتراف الأنثوي في الحب استراتيجيات كثيرة كتوظيف الدين في غير محلّه لتبرير شرعية الانسياق تجاه تحقيق الملذة والضفر بالجسد الانثوي ويظهر ذلك في إدراج أسامة للخطاب الديني **"تهادوا تحابوا"** الذي يحمل سياقا عاما يخص النساء بينهن أو الرجال بينهم ولا علاقة له بالعلاقة غير الشرعية (الحب) دون زواج واستغلاله كحيلة لإضفاء الشرعية على هذه العلاقة العابرة ويكشف ذلك مجددا عن حدّة الصراع النفسي الذي يعانيه أسامة لمعرفته كشاب مسلم بكونها علاقة محرمة، فإعطائه هدية لها رغم بعده الإنساني الرقيق مرفوض شرعا لأنَّه غريب عنها. ويعتبر هذا التوظيف لهذا الحديث كشفا لاستراتيجية ذكورية تختار من الدين ما يناسبها لتحريم أو إحلال أي جزئية في علاقة الرجل بالمرأة ويظهر ما يخلقه الحب من اهتزاز للثبات النفسي حين يصطدم بالأنا الأعلى وضوابطه.

2. الحبّ وكذبة اختراع الأنموذج الأنثوي:

شكلّ الحب الرومانسي (لا علاقة له بالمذهب الرومانسي) بل بالمفهوم النفسي الذي يعني الحب (الاندفاعي وغير العقلاني وكثيرا ما يكون غير حكيم وهو يزدري الواقع ويتغذى على الوهم ويكون عادة قصير العمر ونهايته هي تحطيم قلب"[28]الذيفي هذه الرواية موضوعا مهيمنا ظاهريا

لكنّه العاطفة التي تخلق حياة مأساوية للشخصيات فبسبب حبّ عمر لمريم غير السوي، انهار زواجه بنبيلة وفي محاولة لنسيانه مريم بالخمر اغتصبت زوجته وابنته في غيابه. إنّ الحب عند عمر يمثل حالة «الحب اللعبي lidos هو الحب غير الهادف الساعي لنيل المتعة الطارئة وينتهي بانتهاء اللعبة» [29]

السؤال الذي يجب طرحه هنا، وفقا لهذه الاضطرابات والسلوكيات غير المتزنة، هل كان يحب مريم فعلا؟ يبدو أنّ إظهار عاطفة الحب عند عمر فعل سيكولوجيٌّ يغطي معاناته من حالة مازوشية تتلذذ بتعذيب نفسها وتستسيغ اشباع شعوره الذاتي في أن يكون محبوبا وهذا ما يشي بشعور العدمية والفراغ النفسي لديه. شخصية عمر متعطشة للحبّ لكنَّها غير قادرة على بذل العطاء الكافي لإنجاح العلاقة. يقول عمر: **"أم أنا رجلا فقيرا أتصنع الرومانسية.."**[30] قد تبدو الجملة الاستفهامية سؤالا بريئا ولكنها الجملة السردية التي أخذ فيها الاعتراف مجرى التبرير رغم انه في بصدد البوح السردي الذي لا رقابة عليه (حرية كتابة المذكرات) إلاّ أنّ طاقة الأنا الأعلى تضبط سلوكه غير السوي ليشكّل البوح، من خلال الخطاب مفردة لكن تحمل محاولة نفسية لتبرير الخطأ وسوء المعاملة مع مريم يعني ذلك أنّ "المحتويات المكبوتة والمواد النفسية التي لم تبلغ القيمة والشدّة اللتان تسمحان لها بعبور عتبة الوعي"[31] المشكلة للاوعي. الإنسان السوي يعتذر فور الخطأ ويبادر بالإصلاح بينما يبادر المخطئ بالتبرير.« **إنَّ الحب موقف اتجاه للشخصية يحدد علاقة شخص بالعالم ككلٍ لا نحو موضوع واحد للحب فاذا أحب شخص شخصا آخر وحده وكان غير مكترث ببقية رفاقه فإنَّ حبه ليس حبا بل هو تعلق تكافلي أو أنانية متسعة »** [32]

إنّ استدعاء هذه الشخصية لتمثل دور الحبيبة التي جرحها هو الآخر ما هو إلا استدعاء لا واع للأنثى التي جرحته، فهذا الاستدعاء هو رغبة لا واعية في الانتقام من التي جرحته لكن ذلك غير ممكن لذلك تتحول هذه الرغبة بشكل غير مقصود إلى ميلينا خصوصا وأنه يقر بأن عليها هي الأخرى ان تعيش ما عاشه هو من ألم وخبرة. رغم علم مريم التام بمجون عمر وسعيه تجاه النساء لا تتوقف عن مراسلته رغم قرارها بعدم عودتها إليه، الحب هنا يشبع لديها حبها الذاتي للتعذيب الذي تتعرض له، لأنّها لم تتوقف عن مراسلته، مريم تقول« **كم أكره النساء أكره اللواتي يرتمين في قلب هو ملك أخرى كرهت النساء وأكره نفسي وكرهت هذا الذي أسميته حبا »** [33] يصبح ما تشعر به مريم منتميا إلى خانة الحب الوجودي الذي يمثل« **طبيعة إيروسية واضحة فهو ديالكتيكي المضمون لا يعيش ولا ينمو ولا يتجدد ولا يخلق إلاّ في القلق وعدم التحقق الكامل، وهو في صورته هذه امتداد للهاجس الوجودي: الوجود يعني أن اراقبه من الخارج قريبا أو**

بعيدا وإذا شاء أن يندمج بي فلا مانع بشرط أن لا أسلم ذاتي له فهو غريب عني مهما حصل » [34]لذلك تختم مريم موقفها تجاه عمر باحتوائه بعد فقدانه الذاكرةلتظهر بهذا الفعل بحثها عن وجودهاالذاتي المقرون بوجود عمر بجانبها. يعتبر حب مريم سلبيا إنّها لم تملك الرجل الذي زعمت حبه إلاّ بعد أن فقد ذاكرته أي أنّها لم تكن فاعلا قويا وشخصية ديناميكية لتتمكن من فرض وجودها على عمر منذ البدء وإلزامه بالوفاء لحبها بل اختارت الانسحاب وتركه في حالته الماجنة لتتزوج به نبيلة التي مثلت أكثر نموذج المرأة المحبّة.

«أحببت نفسي في حضرتها ورغم احتراق داخلي من تصرفاتها من عنادها من كل اللامبالاة التي أغرقتني بها. كانت سيئة جدا لي» ، «صبرت على أذيتها » [35]**« من كرست وقتي لها وجعلتها قبلة لأوتار قلبي جعلتني تحت قدميها، دنست طهارة روحي »** [36]نختار هذه المقطع بعناية لأنه لا يشي وحسب بالطبيعة الانهزامية للذكورة أمام سلطة الأنوثة وحسب بل يضمر شعورا لاواعيا للسارد باستمتاعه بكل هذا التعذيب النفسي الذي لقيه منها ومرد استنتاجنا هذا عائد الى عدم قدرته (عدم رغبته بصفة لا واعية) التخلي عن هذه العلاقة التي يتبنى فيها موقف الخنوع والاستسلام. ومن خلال توظيف أداة التحليل النفسي لمقاربة المقطع حفريا وتفكيكا نقر بأن ما يعيشه السارد مع حبيبته هو لذة المازوشية فرغم العذاب الذي يلاقيه السارد من أسى نراه يحب نفسه في حضرتها.

تنتهي هنا حالة البحث عن مسد للافتقار النفسي لتبدأ مرحلة تالية من المازوشية التي تندمج بالسادية، يستمتع فيها عمر بشكل غير واع بالابتعاد عن مريم وهروبه من حبها ويتلذذ بتعذيبها هي وزوجته وكل المحيطين به بسبب حبه لمريم تدل على مازوشيته أقوال مثل: «**ما استطعت الابتعاد عنها »** [37]ويضيف« **كانت ذكرياتها تحاصرني»** [38] إنّها تعابير عن الخوف من الحب والآخر الانثوي ومما يدل على ساديته قوله: «**أرغب الآن في أذية أحدهم »** [39]يضيف:« **تصرفت كالعادة بقسوة أردت أن أخبرها أنّ حياتي بدونها بخير جدا »** [40]. وعن نفسه يذكر:«**أقسو على جسدي أكثر فأذيقه كل الملذات التي تغلف سمومها قاتلة تبدو لي طريقة مثلى في حرق جسدي رويدا رويدا»** [41]

وفقا لكل هذا يصبح الحب عند عمر وأسامة في علم النفس مقابلا لمصطلح "**الوحدة التكافلية"** وهو "« الحب غير الناضج ويحدد له شكلين الشكل السلبي للوحدة التكافلية هو شكل الخضوع أو اذا استخدمنا مصطلحا سريريا قلنا إنَّه المازوخية فالشخص المازوخي يهرب من الشعور الذي لا يطاق للعزلة والانفصال بأن يجعل نفسه جزءا لا ينفصل عن شخص آخر ويوجهه ويرشده ويحميه ..والشكل الإيجابي للاندماج التكافلي هو الهيمنة أو إذا شئنا استخدام

مصطلح سيكولوجي على المازوخية قلنا السادية فالشخص السادي يريد أن يهرب من عزلته وشعوره بالانحصار بأن يجعل شخصا آخر جزءا لا ينفصل عنه » .[42]

وفقا لكل ما ذكرناه، يمكن فهم سبب هروب عمر من الحب رغم ولعه بمريم، وهروب أسامة من حب الفتاة الأولى له التي أعجب بها ولجوئهما إلى الخيانة، فكانت مع الأول مباشرة بحيث اختار أحضان النساء وكانت مع الثاني غير مباشرة حين عمد إلى اقحام حبيبة ثانية في حياته ليجعل الأولى تنساه وال خيانة Infidelity في علم النفس تعني أنّ "الطرف الخادع يمنح مكانة عالية للطرف المخدوع"[43] المازوشية، الخوف من الانثى وسيطتها عليه، الخوف العام من الارتباط والذي لا يصلح مبررا لزواج عمر بنبيلة أو ارتباط أسامة بالحبيبة الثانية. إنّ هروب عمر من الحب ينهزم أمام سلطة الحكي التي اعادته في نهاية السرد الى حضن مريم التي احتوته يظهر من هذا أنّ الحب احتواء للذات الآخر لكنّه يضمر نسق الهيمنة الأنثوية مجددا، لا مفرّ للرجل إلاّ إلى المرأة، أي أنّها ثنائية لا تفند، إنّها تعيد خط الواقع إلى الحكي لتجعل الرجل بلا عقل تابعا للمرأة حتى وان كانت دون أنوثة، وهو ما يعتبر حسب رأينا ممارسة تكرس لدونية المرأة خصوصا وأنّ كل الذوات الساردة (مريم، نبيلة، سعاد) يغيب عنهن فعل التمرد، راضخات للقدر، تسكت نبيلة كامرأة مسكين أمام اضطهاد وفسوق زوجها، تسكت مريم عن حبها وتتزوج رجلا غير حبيبها فلا تواجه عمر طلبا منه احترام علاقتها، ولا تعارض سعاد تزويجها من مغتصبها.

4. خاتمة:

عرضت الرواية الجزائرية المعاصرة حسب دراستنا هذه ومن خلال النموذجين المختارين الحبّ بشكل عميق يختلف عن الطرح البسيط له، لا يقف في حدود كونه عاطفة يميل فيها الجنسان فطريا إلى بعضهما البعض بل قدمته بصورته النفسية يتماشى والأطروحات السيكولوجية المعاصرة التي جعلته حالة اضطراب غير سوي.كشف الحبّ في روايتي (قلم مريض نفسي) و(نخب الأولى) عن المكبوتات النفسية للشخصيتين المدروستين باعتبار أنّ الحبّ حالة اصطدام مع الآخر/الأنثى، وانكشفت من خلاله العقد الذكورية (الشهرياية) وحالات المازوشية والسادية التي لم تخلو من التأثيرات الاجتماعية الجندرية المكرّسة لدونية المرأة.

طرحت الروايتان سؤال الحاجة إلى الآخر وعلاقة الأنا الذكرية بالآخر الأنثى إذ أعادت قلب المتداول المقرّ بحاجة المرأة إلى الاكتمال بالرجل وجسدّتا مفهوم الضعف الذكوري أمام هيمنة الأنوثة رغم تعامل الشخصيتان مع الحبّ كحالة ممكنة لاستلاب الفحولة ومقاومتهما له.

يمكن القول أنّ هذه الدراسة دعوة جادّة إلى إعادة قراءة موضوع الحبّ في الرواية الجزائرية المعاصرة ضمن رؤى تحليلية مقاربة جديدة تستثمر الآليات الممكنة بالربط بين السياق الاجتماعي وبه.

مراجع البحث وإحالاته:

1- فارس كمال نظمي، المرجع نفسه، دار تاراس للطباعة والنشر، ط1، العراق، 2007،ص96.

2- رواية نخب الأولى، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر، 2020، ط1، ص22.

3- رواية قلم مريض نفسي، ص18.

4- فارس كمال نظمي، الحبّ الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، ص74.

5- رواية قلم مريض نفسي، ص64.

6- ليلى عامر، نخب الأولى، ص17.

7عادل سعيد آل عوض، إيقاظ الوعي ليس ما تراه بل ما تريد أن تراه، فهرسة مكتبة الملك، ط1، الرياض، 2001، ص17.

8- ينظر: الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، المرجع السابق، ص100.

9- رواية قلم مريض نفسي، ص64.

10- المصدر السابق، ص70.

11- مسرد ومفاهيم ومصطلحات النوع الاجتماعي، منشورات المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديموقراطية "مفتاح" رام الله فلسطين،ط1، 2006، ص10.

12- رواية قلم مريض نفسي، ص 4.

13- نقلا عنك.غ.يونغ، جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1997، ص11.

14- رواية قلم مريض نفسي، ص9.

15- المصدر نفسه، ص13.

16- رواية قلم مريض نفسي، ص58.

17- المصدر السابق، ص.ن.

18- أسامة بن قرينة، قلم مريض نفسي، ص19.

19- فارس كمال نظمي، المرجع نفسه، ص78

20- ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، تر: جورج أبو صالح وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان،د.ط،1990، ص304.

21- رواية قلم مريض نفسي، ص63.

22- عادل سعيد آل عوض، إيقاظ الوعي ليس ما تراه بل ما تريد أن تراه، فهرسة مكتبة الملك، ط1، الرياض، 2001، ص152.

23- محمد محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص20.

24- ينظر: رواية قلم مريض نفسي، ص15.

25- ينظر: المصدر نفسه، ص17.

26- عادل سعيد آل عوض، إيقاظ الوعي ليس ما تراه بل ما تريد أن تراه،ص17.

27- أسامة بن قرينة، قلم مريض نفسي، ص15.

28- مها سليمان يونس، سيكولوجية الحب بين الفلسفة وعلم النفس والطب النفسي، ع20، مجلة بصائر نفسية، العراق، 2018، ص67.

29 - المرجع نفسه، ص68.

30- رواية نخب الأولى، ص18.

31- ك.غ.يونغ، جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1997، ص11.

32- فارس كمال نظمي، الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، ص128.

33- رواية نخب الأولى، ص79.

34 فارس كمال نظمي، الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، ص74.

35- رواية نخب الأولى، ص79.

36- المصدر نفسه، ص84.

37- المصدر نفسه، ص17

38- المصدر نفسه، ص18.

39- المصدر نفسه، ص23

40- المصدر نفسه، ص24.

41- المصدر نفسه، ص23

42- الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، المرجع السابق، ص97

43- المرجع السابق، ص118

قائمة مراجع البحث:

1. ليلى عامر، نخب الأولى، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر، ط1، 2020.
2. أسامة بن قرينة، قلم مريض نفسي، دار يوتوبيا للنشر والتوزيع، تيارت، الجزائر، ط1، 2019.

3. عادل سعيد آل عوض، إيقاظ الوعي ليس ما تراه بل ما تريد أن تراه، فهرسة مكتبة الملك، الرياض،ط1، 2001.

4. مسرد ومفاهيم ومصطلحات النوع الاجتماعي، منشورات المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديموقراطية "مفتاح" رام الله فلسطين،ط1، 2006،.

5. ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، تر: جورج أبو صالح وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبناند.ط، 1990.

6. محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1996.

7. عادل سعيد آل عوض، إيقاظ الوعي ليس ما تراه بل ما تريد أن تراه، فهرسة مكتبة الملك، الرياض،ط1، 2001.

8. مها سليمان يونس، سيكولوجية الحب بين الفلسفة وعلم النفس والطب النفسي، ع20، مجلة بصائر نفسية، العراق، 2018.

9. ك.غ.يونغ، جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا،ط1، 1997.

10. فارس كمال نظمي، الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار تاراس للطباعة والنشر، ط1، العراق، 2007.